تعال بنا نؤمن ساعة

بقلم

سلطان بن عبدالله العمري

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فما أجمل الإيمان حينما يخالط القلب ويسكن الروح.

إن القلب بحاجة إلى غذاء الإيمان، ومن أعظم مايغذيه، قراءة المواعظ وسماعها.

وبين يديك مجموعة من المقالات الوعظية، لعلها أن تملأ قلبك باليقين.

نسأل الله أن ينفع بها.

محبكم / سلطان بن عبدالله العمري

https://s-alamri.com/

٠٥٠٥٢٣٥٠٠٨

❊❊❊

الفرح بالله

لعل العنوان فيه شيء من الغرابة، لأن مفاهيم الفرح في حياتنا تقتصر على الفرح بالمحسوس فقط، الفرح بالمال والمنصب والزوجة والولد والهدية والمنزل ونحو ذلك.

ولعل سائلًا يهمس ويقول: ما معنى الفرح بالله؟ وما أسراره؟

الفرح بالله هو الفرح به ربًّا وإلهًا، فتفرح بعبوديتك له وخضوعك بين يديه وافتقارك له وانكسارك على عتبات بابه.

تفرح حينما تتوضأ لأنك سوف تناجي ربك بعد وضوئك وتقول: الله أكبر.

تفرح حينما تقف على قدميك وتركع وتسجد لربك القريب المجيد.

تفرح بربك حينما تصوم وتترك كل شهوات النفس من الطعام والشهوة لأجل الله وحده وتتذكر الحديث القدسي: «**إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

حتى قال بعض العلماء: لو لم يكن من فضل الصيام إلا هذا الحديث لكفى.

تفرح من داخلك وتشعر بسرور قلبك حينما تخلو بكتاب الله وتتصفح صفحاته، وتنتقل بين آياته، ويتذوق قلبك حلاوة الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

نعم، يفرح العابد حينما يقوم في الليل يناجي ربه في سكون وخشوع وخضوع، يرتل بالآيات ويلهج بالدعوات، حتى إنه يسابق الزمن قبل الفجر، حتى قال ذلك العابد: والله منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر.

والآخر يقول: لولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا.

أيّ فرح ولذة شعروا بها حتى خرجت هذه الكلمات من نفوسهم!

حدثني أحد العابدين، ممن لهم نصيب من الليل، قال: كنت مرهقًا في أحد أيام البلاء الذي نزل بي، ودخلت غرفتي بعد العشاء وقلت لنفسي: سأوتر بركعة قبل أن أنام.

يقسم لي بالله أنه ختم في تلك الليلة البقرة وآل عمران والنساء.

قلت: وكيف مرت عليك تلك الليلة؟

قال: يا سلطان، رغم همومي في تلك الفترة إلا أن الله ملأ قلبي فرحًا بعبادته وخاصة في صلاة الليل.

قلت: هنيئًا لك ذلك الفرح!

الفرح بالله شعور يجعل القلب يرفرف نحو العلا، ويطير نحو معانٍ لا يقوى القلم على التعبير عنها.

يفرح العابد بصبره على البلاء الذي نزل به من ربه الحكيم، ويرى أن وراء ذلك البلاء منازل من الثواب تجعله يستمتع بكل لحظة ألم، ولا يقوى على ذلك إلا من ترقى في مدارج العبودية، وذاق من لذات الأنس بالله ما يجعله يطمئن في ساعات الشدة ويبتسم في لحظات الألم.

يفرح الداعية الذي يتحرك هنا وهناك في سبيل الله، دعوةً وتعليمًا، يفرح برؤية الله له وهو يتعب من أجل الله، ولسان حاله ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

يفرح ذلك التاجر الذي يبذل ماله في سبيل الله، في رعاية مشروع دعوي أو إغاثي، ويعلم أن المال الذي لديه هو رزقٌ ساقه الله إليه.

تفـرح تلك الأخت بحجابها الذي هو مصدر عزتها لأنه اختيار الله لها، وتشـعر أنها ملِكة تمشـي على الأرض لأنها أطاعت رب السماوات والأرض.

۞ ومضة :

يامـن لم يذق لذة الفـرح بالله، تعال فالبـاب مفتوح والخيرات تغـدو وتروح، وقرِّر من هذه السـاعة أن تتوجـه بقلبك إلى ربك القريب المجيب ليمنحك حلاوة الفرح به.

۞ تنبيه :

الفـرح بطاعـة الله هو الفـرح بالتوفيق لهـا وما فيها مـن اللذة والسـرور، ولايعنـي ذلك أن يكون في النفس شـيء مـن الغرور والخيلاء أو التكبر على الناس.

❊❊❊

إنه نور الإيمان

جميلٌ أن تكون ممن سـخَّر جوارحـه في طاعة الله وانطلق بهمته إلـى ما يحبـه الله ويرضاه، حينهـا يكون قد أشـرق في القلب نور الإيمان، وامتلأت الروح بمحبة الرحمن.

إن هـذه الحسـنات لها ثمـرة، بل ثمار، ومن أغلـى هذه الثمار «نـور الإيمان» قال تعالـى: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النـور: ٣٥] فالله هو الهادي وهو المرسل لهذا النور في قلوب أوليائه.

وهذا النور مقتبسٌ من الوحي، فالقرآن نور، والسنة نور، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨].

وإذا كان الله قد سمَّى الدين والوحي نورًا، فاعلم أن نصيبك من هذا النور على قدر التزامك بهذا الوحي.

ونور الإيمان الذي سـكن في قلوب المؤمنين متفاوت على قدر تفاوتهم في قربهم من الرحمن، فهذا قد مُلئ نورًا وإيمانًا، وبجانبه من هو أضعف منه نورًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وهـذا النور يقوى حتى يظهر على صفحات الوجه، حتى أنك ترى بعض الناس على وجوههم إضاءة من نور، فما هو؟

إنه نـور الإيمان، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (إن للحسـنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب).

وهذا أحدهم يسـأل الحسـن البصري: (لماذا أهل صلاة الليل أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: خلَوا بالله فألبسهم نورًا من نوره).

ولا يزال العبد يُنافس في الحسنات ويسابق إلى الصالحات حتى يقوى نور الإيمان في قلبه، فيظهر عليه عند موته، فكم سـمعنا من أمواتٍ لما ماتوا وعند تغسـيلهم وتكفينهم رأى المغسلون أنوارًا وضياء في الوجه، بل وفي سائر الجسد.

ولا يزال هذا النور يتحف صاحبه بالهدايا، فيأتيه في قبره، فيضيء له كالقمر ليلة البدر، كما صح في الحديث.

وفي يوم القيامة حيث الأهوال والمصائب إذا بك تلتفت فترى هناك فئـة علـى وجوههم نور عجيـب وصفه الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» رواه البخاري.

وعند المرور على الصراط وفي شدة الظلام يُشرق نور الإيمان لأهله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

فيعبرون على الصراط بهذا النور، وينطلقون بكل سرعة نحو الجنان، وحينما يدخلون الجنان إذا بهم في قصورها وبين أنهارها، وتحيط بهم أشجارها وثمارها، وهم مع زوجاتهم من الحور العين، والخدم يطوفون بهم، ولا يزالون في نعيم مقيم أبد الآباد.

وهذا جزاء كل من تمسَّك بنور الإيمان، فاللهم هب لنا من لدنك نورًا.

❋❋❋

ثلاثة أوقات يستجاب فيها الدعاء كل ليلة

١- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» رواه مسلم.

قال النووي: فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها.

٢- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» رواه البخاري.

وفي هذا الحديث إشارة لفضل الذكر عند القيام من النوم في أي ساعة من الليل بدون تحديد، والنتيجة استجابة الدعاء وقبول الصلاة.

٣- أحاديث نزول الرب في الثلث الأخير من الليل، وهي متواترة، وفيها أن الله يقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ!».

فيستفاد من مجموع هذه الأحاديث أن وقت الليل شريف، حيث توجد فيه الأوقات الثلاث المتنوعة لاستجابة الدعاء.

ولكن الذي يحزنك أن بعض الناس قد أهمل العناية بالليل، فهو إما على مواقع التواصل يقلب صفحاتها، أو لعله مع القنوات، أو مع اللعب والسهر.

والذي ينبغي هو عمارة الليل بالدعاء والذكر والصلاة، مع التوازن في الأمور الأخرى من حقوق الأسرة وحقوق النفس في المباحات.

ولك أن تسأل نفسك: كم ليلة مرت من حياتك وأنت غافل عن هذه الأوقات الثلاث من الليل!

❋❋❋

احذر من صغائر الذنوب وسوء الخاتمة

- روى النسائي وابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا».

وروى أحمد بسند حسن عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ».

- **قال ابن بطال:** في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم، وكان ناجيًا، أعجب وكسل، وإن كان هالكًا ازداد عتوًّا، فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء.

- **وقد روى الطبري عن حفص بن حميد قال:** قلت لابن المبارك: رأيت رجلًا قتل رجلًا ظلمًا فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا! فقال: أمنُك على نفسك أشد من ذنبه.

- **قال الطبري:** لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر، لعل القاتل أن يتوب فتقبل توبته، ولعل الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء.

لماذا نصوم النافلة؟

لماذا نصوم النافلة مثل الإثنين والخميس والأيام البيض وغيرها؟

١. **لأن من أبواب الجنة** باب «الريان» وهو للمكثرين من الصيام، كما في الحديث المتفق عليه.

٢. **لأن الله يحب الصيام**، فقد قال سبحانه في الحديث القدسي: «إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» متفق عليه.

٣. لأن «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» رواه البخاري.

٤. **لأن الصيام له فرحة ولذة** يشعر بها من داوم عليه، وفي الصحيح: «وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». متفق عليه.

٥. **لأن الصيام يشفع للعبد يوم القيامة** كما في الحديث الذي رواه أحمد وصححه الألباني.

٦. لأن دعوة الصائم مستجابة، كما في الحديث: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ؛ دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ» رواه البيهقي، وصححه الألباني.

٧. وهناك فوائد صحية للجسم من الصيام.

ولذلك ينبغي علينا أن نجاهد أنفسنا لصيام النافلة، ونزداد من الحسنات قبل الممات، فالحياة فرصة لفعل الخيرات.

❋❋❋

عبادات في أوقات الشدة

ما شعورك لو أصابك هم شديد، أو دين كبير، أو مرض خطير، أو جاءك خبر وفاة زوجتك، أو حادث سيارة أدى إلى وفاة ابنك؟

أيها الأحبة: إن هناك عبادات لا تظهر إلا في أوقات الشدة، منها: الصبر، والرضا، واليقين، والتوكل، والتضرع، والابتهال، والانكسار، والافتقار، والتسليم، والطمأنينة.

إن من السهل أن نقرأ عن هذه العبادات، أو نتكلم عنها، أو نستمع إلى من يتحدث عنها، أو ندعو الله بأن يشرح صدورنا لها، لكن من الصعب جدًّا أن نعيشها في أغلب الأحيان ونجعلها هي عمدتنا عند الفتن والمصائب والكوارث.

لعلك تعرف «فلان» كنتَ تظن أنه صاحب إيمان وتقوى، لكنه لما وقعت له المصيبة تبين لك جزعه وتسخطه على أقدار الله.

ولعلك تعرف «فلانة» لما أصيب ابنها بذلك المرض إذا بها تطلق العبارات المناقضة للصبر والرضا والقادحة في كمال التوحيد.

ولعلك أنت كنت تظن أنك ممن تربى على التوكل وعدم الخوف من غير الله، لكن لما جاءك تهديد من بعض المشعوذين والسحرة إذا بك تخاف منهم وتسكت عنهم وتمدحهم.

إن الابتلاء يظهر لك حقيقة نفسك التي بين جنبيك، ويخبرك أنك بحاجة إلى توفيق الله وتثبيته في كل لحظة.

إننا بحاجة إلى أن نتربى على عبادات الشدائد.

ما أجملها من لحظة عندما تقوم في آخر الليل تناجي ربك، تدعوه أن يكشف عنك همك، ويزيل عنك غمك، وترسل مع عباراتك قطرات من عبراتك لكي يتنعم ذلك الخد بمرور تلك الدموع التي ما خرجت إلا لما جاءت تلك الشدائد.

إن عبادة التضرع والالتجاء ما ظهرت بقوة إلا في أوقات الشدائد.

ولعل البلاء قد طال بك، والشفاء قد تأخر عنك، فهنا تأتي عبادة أخرى وهي «الرضا عن الله» فكأنك تقول: يارب أنا راض عنك حتى لو لم تستجب لي، يا رب من لي سواك، يارب مهما حصل لي فلن أسخط عليك لأني أحبك يارب.

ويـزداد البلاء فتأتي عبـادة «التوكل وتفويـض الأمور إلى الله» لكي تكسـبك قـوة في الاعتماد على الله وتمنحك الشـعور بقرب الفرج.

وهناك عبـادة تدخل عليك وأنت في هـذه الأثناء، وهي «الثقة بالله» فينشـرح صدرك ويطمئن فؤادك وتشـعر بالسكينة قد نزلت عليـك، وبعـد أيام إذا بالفرج قد نزل، والشـفاء قد حصل، والهم قد انكشف، والغم قد زال.

وهنا تأتي عبادة الشكر في أروع صورة.

ولا يعرف هذه المعاني إلا من جرَّب أنواع المحن ومرت عليه صنوف الفتن، والتثبيت يأتي من العلي الأعلى.

فأحسن ظنك بربك، وتوكل عليه، وابك بين يديه، وعلِّق قلبك بمـن يحركه، وارفع همّك إلى الذي لن تجد أرحم منه ولا أرأف منه.

ألم تعلم أن من أسمائه «الرحمن، الرحيم، الودود، الرؤوف، الواسع»!

أنا وأنت أصحاب ذنوب

أنا وأنت نذنب ونخطئ ونقصر في طاعة الله، أنا وأنت من البشر ومن بني آدم، وفي الحديث: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**». رواه الترمذي بسند حسن

أنا وأنت لن نعيش معصومين من الذنوب، دلَّ على ذلك هذا الحديث الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» رواه مسلم.

أنا وأنت من بني آدم، وأبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أذنب وأخطأ، لكنه تاب، ومن شابه أباه فما ظلم.

أنا وأنت من العباد الضعفاء، ورب العالمين يخبرنا عن ضعفنا فيقول في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» رواه مسلم.

أنا وأنت لن نسلم من نزغات الشيطان ووسوسته وإغراءاته، فهذا نبي الله آدم تسلط عليه الشيطان ووسوس له.

أنا وأنت أصحاب ذنوب وسيئات، فيا ترى ما هو الحل؟ وما هو المخرج؟ يا ترى ما هو الدواء لضعفنا وتقصيرنا؟

۞ إن الحل والدواء في أمور:

١. **لا تقنط** من رحمة الله وأبشر بمغفرة الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

٢. **ارفع يدك** إلى الغفور الغفار واعلم أنه يغفر الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

٣. **ابتعد** عن كل سبب يوقعك في الذنوب حتى لا يتكرر منك الذنب مرة أخرى.

٤. **احزن على ذنبك**، وابك على خطيئتك، لعل الله أن يرى دموعك الصادقة فيرحمك رحمة واسعة.

٥. **اجعل ذنبك أمام عينيك**، واجعل حسناتك خلف ظهرك؛ لتبقى دائمًا مسابقًا للخيرات ومبادرًا إلى الحسنات.

٦. **لا تحتقر معصية** ولو كانت صغيرة، فلعلها تكون كبيرة عند الله ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

٧. **اجلس مع نفسك** وحاسبها وعاتبها لعلها تتعظ وترتدع. ورضي الله عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

٨. **كن متوازنًا** بين الخوف والرجاء، وليكن خوفك وأنت في الحياة أكثر من رجائك، كما قال السلف، لكي تجتهد في الطاعات وتترك الذنوب والسيئات.

٩. **احذر من الإصرار على الذنوب**، فالإصرار على الذنب يجعله من الكبائر، حتى لو كان ذلك الذنب من الصغائر، وربنا يقول في عباده المتقين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥].

١٠. **اجعل ذنبك كالجبل فوق رأسك** تخشى أن يسقط عليك، ولا تجعله كذباب مرَّ على أنفك وذهب.

١١. **اقرأ في حياة السلف** كيف كانوا يحذرون الذنوب.

١٢. **أبشر برحمة الله ومغفرته**، وعليك بدوام الاستغفار، فستجد من الله التوبة والغفران ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]

فسبحانه يغفر الكثير من الزلل ويقبل اليسير من العمل، وسبحانه ما أرحمه بعباده وما أحلمه على من عصاه وما أقربه ممن دعاه.

١٣. ليكن ذلك الذنب طريقًا ليعرفك بنفسك المقصرة، وليكن درسًا لك بأنك فقير إلى ربك، الذي لن تستغني عن حفظه ورعايته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] فأنت ضعيف ومسكين، وليس لك حول ولا قوة إلا به، سبحانه وبحمده.

اللهم ارحم ضعفنا وتب علينا فإنا تائبون ومعترفون بذنوبنا ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

❋❋❋

وفي الخفاء سرور

في نظـرة دقيقـة، والجمهـور حولك، قد تتسـلل لـك خواطر السعادة، وتخبر فؤادك بأنك في طريق كله فرح وسرور.

ولكن تأبى نفوس الأتقياء من التعلق بذلك، بل إنهم يجدون في الخفاء سرورًا، بل ويستمتعون بالخفاء؛ لعظيم ما يتلذذون به من منح الرب وهداياه.

فلا تسل عن مبدأ الخفاء عند الأتقياء؛ إذ هو باب السرور لهم، لأنهم وجدوا أن لحظة رؤية الرب وحده لهم هي أمتع اللحظات وأسعد الساعات.

ألم يقل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»

رواه مسلم.

فهـذا الحب الإلهي أثار في القلوب البحث عن الخفاء ليفوزوا بالموعود «الحب».

فيا من أزعجته نفسـه للتطلع للصدارة، وطمحت همته للشهرة والتفاف الناس حوله، أقول لك: إن الخفاء له سرور.

وهل القلب يسجد؟

رأيتُ مناظر الناس وهم سجود فقلت في نفسي: «إنه سجود البدن» ولكن هل فزنا «بسجود القلب» كما فاز به السلف الأبرار؟

وإذا كانت الصلاة فيها أركان، ومن ضمنها «السجود» وهذا السجود له أركان «الأعضاء السبعة» فليعلم أن هناك «سجود القلب» ومن مزاياه:

١. أنه طويل المدى وليس له زمن معين.

٢. تبدأ مدته من بداية «الافتقار».

٣. أن سجدة القلب تنسي العبد دنياه، فقد لا يشعر ذلك الساجد بالوقت؛ لأن القلب قد رحل إلى الله.

٤. أن سجدة القلب تجلب للعبد «العلو» عند الرب، وهذا الأمر لا يعرف بالكتابة بل بالذوق والصدق.

٥. أنها تمنح القلب سرور القرب من الرب، وفي التنزيل:

﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

٦. أنهـا تسـاهم في إحيـاء مادة الحيـاء في القلـب؛ إذ أن حياة القلب على قدر قوة حيائه، وحياؤه على قدر حياته.

٧. وسـجدة القلب إذا اقترنت بالدموع فإنها تجعل القلب في مصاف الخاشعين والخائفين.

٨. وهي طريقة عظمى لتفريج الكربات وإزالة المصائب، فكم من سـجدة فتحت للعبد آفاقًا في العلـم والعمل والحياة! وكم من مهموم لم تذهب همومه إلا عبر «السجود»!

٩. وسـجدة القلـب تمنحـه لباس الـذل والفقـر اللذين هما أعظم ما يتصف العبد مع ربه عَزَّوَجَلَّ.

۞ ومضة:

قال أحد السلف: إذا مت من يصلي عنك؟

وأقول: إذا مت من يسـجد عنك؟ ومن يتذوق أسرار السجود عنك؟

❋❋❋

عتابٌ لبعض محبي العبادة

من أجمل النعم الربانية أن تكون من محبي العبادة، وهي عطيَّةٌ عظمى لا يعرف قدرها إِلا من ذاقها، ولكن تبقى هنا مسألة مهمة، وهي تأسيس العبادة على العلم.

إِننا نرى من يحب العبادة ويألفها ويجتهد فيها اجتهادًا عظيمًا، ولكن - وبكل صدق - نرى من بعض هؤلاء من يجهل العلم، فتجده يقع في أخطاء في هذه العبادة، بل قد يقع في بدع وهو لا يعرف أنها بدع، وقد يحسِّن له الشيطان ذلك ويرى أن عمله حسن، ولعله يزداد من الله بعدًا وهو لا يشعر.

ولذلك اتفقت كلمة السلف على وجوب الاتباع للسنن، وعدم الاغترار بعمل إِلا بعد عرضه على ميزان الشرع وقانون العلم.

والشرع ميزان الأمور كلها
وشاهدٌ لفرعها وأصلها

والمشكلة تكمن في أن الناس يحبون العابد لِما يظهر عليه من العلامات، كالخشوع والبكاء والزهد، مع عدم التفريق بين

صواب فعله أو خطئه.

ولهذا قال السلف: احذروا زلة العابد.

وكم رأينا من أشخاص اغتروا ببعض العُبّاد وقلَّدوهم في عبادتهم، سواءً في الألفاظ أو في الأعمال، ولو أنكرت على هؤلاء لقالوا لك: ولكن فلان يفعله! فيا عجبًا لهم، وهل فلان هو القدوة فيما يفعل وفيما يترك، أم أن القدوة هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي يُقبل قوله وفعله بدون اعتراض!

وأما غيره من الخلق مهما كانوا فلا بد من عرض ما جاء به على الشرع.

ومن تأمل حال أهل البدع يجد أن منهم طائفة تعلقوا بالعبادة ولكنهم على غير علم، ومنهم (الخوارج) الذين قال فيهم رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ**» رواه البخاري.

ولقد رأيتُ بعض العُبّاد يُشار لهم بالبنان، ولكن عليهم من الأخطاء ما لا يعرف قدرها إلا من يعرف السنة وذاق حلاوة العلم.

وبعض أصحاب العبادة يجهلون مراتب الأعمال، ولا يميزون بين الفاضل والمفضول، ولا يدركون ضرورة التوازن بين العبادة وبين الحقوق الأخرى كحقوق الأسرة والنفس والوظيفة ونحوها.

ويلاحظ على بعضهم العناية بالتوجيه للعبادة فقط، ولا تسمع منه الحديث في العقائد أو الفقهيات أو النواحي التربوية.

وبعضهم يستدل في حديثه ووعظه بالأحاديث الموضوعة، وفي هذا من الخطر ما فيه، حيث وقع في الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن العُبّاد من يجهل خفايا النفوس وأسرار القلوب، فلا يفرق بين إظهار العمل وإخفائه، فهو إما أن يخفي عمله كله، أو يظهره كله بحجة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ويجهل ضوابط الإظهار أو الإخفاء.

ومنهم من ينشغل بالعبادة عن التحصيل العلمي، فهو قد يختم القرآن في أسبوع أو أقل، ولكنه لم يقرأ أبدًا في نواقض الإسلام

ولو لدقائق، ولا يعرف أبسط قضايا الطهارة والصلاة.

ومنهم من تراه حريصًا على العبادة، ولكنه لا يُنكر منكرًا ولا يأمر بمعروف، وقد غلب عنده حب العبادة على حب الدعوة والإنكار، ولا شك أن هذا خطأ كبير جرّهُ عليه (الغفلة عن العلم).

ولعل الخواطر لهؤلاء العُبّاد تطول، ولكن لعل ما جرى به القلم يُغني عن كل ما يدور في القلب، والتوفيق بيد العلي الأعلى.

❊❊❊

خلوة ولكن مع الصور

إنها لحظات تكون فيها لوحدك وأمامك جهاز الكمبيوتر أو مع جوالك، ثم تبدأ الخواطر لتفتح بعض الصفحات التي تحتوي صورًا متنوعة ولكنها لبعض الصور المحرمة.

ثم تبدأ تنظر بعينك، وإذا بك ترى تلك الصور والمقاطع، ثم تحاول الخروج من هذه الصفحة، ولكن الهوى والنفس الأمارة والشيطان الذي يجري فيك مجرى الدم يرغمونك على البقاء فترة أطول.

ومن حسن حظك أن تجد روابط في نفس الصفحة لصور أجمل ولحظات أمتع، ثم لا تشعر بنفسك إلا وأنت مستجيب لها، وهكذا تمر الدقائق بل والساعات وأنت تتقلب من صورة إلى أخرى.

أخي، أختي: إن هذا المشهد يتكرر دائمًا عند بعض الإخوة والأخوات، ولهم أهمس بهذه الهمسات:

١. **إن صحت الخلوة** بهذه الصور والمشاهد فلتعلموا أن الله معكم ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

٢. **إن العين تشهد يوم القيامة** بما رأت ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠] فما هو شعورك حينها؟

٣. **أما تخشى من لحظة الموت** أن تأتي عليك وأنت تتمتع بهذه الصور ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وإنها لكارثة حينما يكون موتك وأنت تشاهد تلك الصور.

٤. **إن العين** تحفظ الصورة في قلبك، وهذا القلب الذي هو محط نظر الرب يحرم عليك أن تملأه بالصور، بل املأه بحب الرب والشوق إليه.

٥. **أنسيت** أن لك قبراً ستدخل فيه لوحدك! عفوًا بل مع عملك! فيا ترى هل تحب أن ترافقك تلك الصور إلى قبرك! وحينها كيف سيكون الحال!

٦. إن هـذه الصـور طريق لإثـارة الشـهوة لديك، والإسـلام حمى تلك الشـهوة من الإثارة لتبقـى في ديوان «العفاف» ولا تنحرف إلى «الفواحش» ورُبَّ شـهوة سـاعة أورثت حزنًا طويلًا.

٧. وهـذه الصور إنمـا هي لحظـات ابتلاء لـك؛ هل تصرف بصـرك عنها أم أنك تبحـث عن غيرها وعـن أجمل منها لكي تسبح في بحر الحب والجمال والتفكير الدائم فيها!

٨. وهذه الصور تجعل قلبك أسيرًا لها عاشقًا لها، وهذا الأسر حقيقي، ووراءه من الويلات والأسـى ما لا يعلمه إلا من جربه.

وكنـتَ متى أرسـلتَ طرفـك رائدًا
لقلبـك يومًـا أتعبتـكَ المناظـر
رأيـتَ الـذي لا كلـه أنـت قـادر
عليـه ولا عـن بعضـه أنـتَ صابـر

٩. وهـذه النظرات تعرضك لعقوبة الرب الجبار، وما يدريك لعل نظرة كانت سـببًا لغضب الله عليك ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ

عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] وأمامك نار تلظى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] فلا تتعرض للعذاب، فلن تصبر على لحظة واحدة في جهنم.

❊❊❊

الملتقى في بيت الحمد

بلغني خبر وفاة ابنة صاحبي، وهي في الثالثة من عمرها، بعدما زان جمالها وحسن كلامها وظهرت طفولتها، ولكن الله يقدر ما يشاء ويقضي ما يريد.

ترتفع الحرارة ويبدأ الخوف على قلب والديها، فيسارعان بها إلى المستشفى، ولكن الله يريد أمرًا آخر، وتغادر الفتاة عالم الحياة، ولكنها لم ولن تغادر قلب والديها.

كان صاحبي يملك قلبًا كبيرًا وصبرًا عظيمًا، فقال حينما تأكدت وفاة ابنته «الحمد لله! إنا لله وإنا إليه راجعون!».

حينها ذهب خيالي لذلك الحديث العظيم الذي فيه: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ» رواه الترمذي وحسنه.

أيهـا الأب، أيتها الأم: يا من فقدتـم ذلك الابن الجميل وتلك الطفلـة اللطيفـة، يـا مـن فقدتم صوت ذلـك الطفـل وضحكاته وبسماته.

لقد كنتم تلاعبونه وتلاعبونها، ولعل الطفل كان مميزًا بكلماته وحواراتـه البريئـة، وفجأة يغيب ذلـك الطفل وتلـك الطفلة من منزلكم.

أين صوته! أين ملاعباته! أين بسمته! بل أين دموعه!

لـن يرافقكم لتلـك الحديقة ولا لذلك السـوق، ويأتي الحزن ليخيم على منزلكم بعدما غادر طفلكم وطفلتكم.

ولكـن - أيها الوالدان - هـل تذكرتما «بيت الحمد» الذي بُني لكم في جنان الخلد!

نعـم، إنه بيت في الجنة تبنيه الملائكة لكما حينما تصبران على فقد الولد والبنت، فصبراً واحتسابًا على موت حبيبكم، لعل بيت الحمد أن يُبنى لكم.

صبـرًا - أيهـا الأب - لعلـك تجتمـع أنـت وولـدك وابنتـك وزوجتك في بيت الحمد الذي كان نتيجةً لصبركم.

الصبر سـوف تسـمعه هنـاك عند أبـواب الجنـان، والملائكة ترحب وتقول ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

هيا كفكف دموعك، واملأ قلبك رضًا وحبًّا لذلك الرب الذي يقدر ما يشاء.

هيا ارفع يديك وقل ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

يـارب، ها أنا أدفن ولدي وثمرة فؤادي، وكُلّي طمع أن التقي به هناك في بيت الحمد حيث لا فراق بعدها.

اللهـم ارزقنـا الصبر عند الأزمـات، واجمع بيننـا وبين أولادنا وبناتنا في رياض الجنات.

❋❋❋

ثلاثة في الجنة

حينما تتأمل في الآيـات والأحاديث التي جاءت في بيان وصف الجنة فسوف تجد تكرار ثلاثة ألفاظ «الذهب، الفضة، اللؤلؤ».

واقتصرت هنا على بعض النصوص حتى لا أطيل في المقال.

تأمل معي:

أولًا: الذهب:

١. يقـول تعالـى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخـرف: ٧١]

أي: يطوف عليهم الخدم بصحون من ذهب.

٢. يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] أي: يلبسون أساور من ذهب.

٣. في الحديث: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَـجرَةٌ إِلَّا سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ» رواه الترمذي بسند حسن.

ثانيًا: الفضة:

١. قواريـر الجنة. يقـول تعالـى: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسـان: ١٦]

وهذا شيء عجيب؛ لأن القارورة تشف عما بداخلها، فكيف تكون زجاجة ومن فضة!

٢. يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١] أي: يلبسون حللًا من الفضة كما سبق في الذهب.

٣. يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان: ١٥] وهذا كما سبق في صحاف الذهب، فهناك صحون من ذهب وأوانٍ من فضة، كلاهما يطوف بهما الخدم عليك في جنان الخلد.

ثالثًا: اللؤلؤ:

١. يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ [الحج: ٢٣]. وبهذا تكون الأساور من ثلاثة أصناف؛ ذهب وفضة ولؤلؤ، وهذه كلها أنواع الحلي لأهل الجنة.

٢. يقول الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ [الإنسان: ١٩] وهذا من تمام جمال الخدم أنهم يشبهون اللؤلؤ المنثور.

٣. يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ٢٣﴾ [الواقعة:

٢٢-٢٣] وهذا جمال عجيب، أن تكون زوجتك تشبه اللؤلؤ في اللمعان والضياء، فكيف لو كانت بالقرب منك!

٤. في الحديث الصحيح: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا» رواه مسلم. وفي رواية «عَرْضُهَا» ولا منافاة بينهما فعرضها ستون ميلًا وطولها في السماء ستون ميلًا، وهذه الخيمة يسكنها أهلك من الحور العين.

فالخيمة من لؤلؤ، وزوجتك كاللؤلؤ، وأنت تلبس الحرير، وفي يديك أساور الذهب والفضة، إنه لوصف يقف العقل عن تصور جماله.

إن هذا النعيم يحتاج لمزيد من الجهد والعمل الصالح والتنافس الحقيقي.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

والسعيد من عمل للآخرة وجعلها نصب عينيه ولم يغتر بزينة الدنيا الفانية.

ومضة: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

كيف تربي نفسك على حفظ الخواطر

البعض منا قد تأتيه خواطر فيها سوء، والقليل من يسلم منها، وهنا سؤال: كيف أحافظ على نفسي وإيماني من تلك الخواطر؟

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة وسائل في كتابه «طريق الهجرتين» (ص ١٧٥):

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالى ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثانية: حياؤك منه.

الثالثة: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في القلب الذي خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابعة: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامسة: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادسة: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر ويستعر شررها، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله، فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابعة: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأماني الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة والخزي، وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس، وعزلته عن سلطانها، وأفسدت عليه رعيته، وألقته في الأسر الطويل، كما أن هذا معلوم في الخواطر النفسانية.

فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هي أصل الخير كله، فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب، وسقيت مرة بعد مرة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها، أثمرت له كل فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات.

❋❋❋

الإنسان يرى عمله في موضعين

الإنسان يرى أعماله في موضوعين:

١) في قبره. كما جاء في الحديث أن المؤمن يُمثّل له رجل «حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ» وأما الفاجر فيُمثّل له «رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ! فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ»

رواه أبو داود وصححه الألباني.

٢) يوم القيامة، وهذا جاء في عدة مواضع من كتاب الله، منها:

قوله الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وإذا تذكرنا ذلك في كل يوم من حياتنا فإن إقبالنا على الطاعات سيكون بشكل أفضل، وسوف تكون لنا قوة في ترك المحرمات.

❊❊❊

يا رب

كلمة تختلف عن سائر الكلمات، وعبارة ارتفعت فوق سحائب اللغات.

إذا خرجت من القلب فتحت للعبد أبوابًا من الخيرات.

يعرف مدلولها ذلك المريض الذي أضناه المرض، وأحاط به البلاء، وعجز عن نفعه الأطباء، وطال عليه زمن البلاء حتى قارب اليأس، فإذا بتلك الكلمة تخرج من شفتيه بعد أن تقطعت بين صدره.

خرجت وهو ساجد في ظلام الليل، لا أحد يراه ولا أحد يسمع شكواه إلا الذي ابتلاه.

خرجت هذه الكلمة فارتفعت وصعدت حتى تجاوزت سبع سماوات.

وفي لحظة ينزل الفرج، ويذهب الهم، وتنكشف المصيبة، وتأتي السعادة من ذلك الرب الذي ما قدرناه حق قدره.

كلمات في الترغيب والترهيب

في نظرة سريعة في كتاب الله تعالى تجد آيات ترغب في الجنة وتتحدث عن نعيمها وأنواع لذاتها، وبعد هذه الآيات تقع عيناك على الكلام عن النار وأهوالها وشدة عذابها.

إنه التوازن في قيادة النفس وسياستها في السير إلى الله تعالى «ترغيب وترهيب» نعم، ترغيب في الجنان والثواب الذي أعده الله لعباده الصادقين، وترهيب مما أعده الله لمن عصاه وأعرض عنه.

ونظرة أخرى إلى سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجد مثل ذلك «ترغيب وترهيب» وحينها سنرسم منهجًا في الخطاب الدعوي «ترغيب وترهيب» وسوف نجد التوفيق من الله تعالى لأننا سرنا على منهج الكتاب والسنة.

وعندي إشارات حول ذلك:

١ - **بعض الدعاة** لا يتحدث إلا عن الجنة ونعيمها، ولم يسبق له أن تحدث عن النار وأهوالها، وكأنه يعتقد أن في ذلك تنفيرًا للناس عن طريق الخير، أو أن ذلك مانع لهم من سلوك طريق

الهداية، ولا شك أن هذا خلل ونقص في مفهوم الدعوة؛ إذ كيف يكون تطبيق الكتاب والسنة تنفيرًا للناس!

٢- **لا بد من الحكمة** في اختيار عنوان الكلمة مع الناس، ومراعاة الحال الذي يعيشه الناس ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فلا يناسب أن نتحدث عن النار في الوقت الذي نجد فيه الناس عندهم إقبال على التوبة والعمل الصالح، بل هؤلاء بحاجة إلى إيقاد شمعة الحماس عندهم بذكر الجنة ونعيمها، أما إن رأيت غافلًا بعيدًا عن الله متكبرًا على الدين فهنا يناسب تخويفه بالنار وعذابها لتنكسر نفسه وليعرف قيمة نفسه، فلماذا يتكبر!

٣- **يتساهل بعض الدعاة** بالاستدلال بأحاديث موضوعة أو ضعيفة في باب الترغيب والترهيب، بحجة أن بعض العلماء يتساهل في مسألة الاستدلال بالضعيف في فضائل الأعمال.

وهذا وإن كان رأيًا مشهورًا عند بعض العلماء، إلا أن هؤلاء العلماء وغيرهم وضعوا شروطًا قوية لأجل الاستدلال بذلك، وعند التحقيق والتدقيق تكاد تجزم بأن هذه الشروط لم تنطبق

على كثير من هذه الأحاديث.

وعلى كل حال فما أجمل أن نستغني بالصحيح عن الضعيف، وكما قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في صحيح الحديث شغل عن سقيمه.

٤- بعض الوعاظ يبالغ في الاستشهاد بمواقف عن السلف حتى يصل به الحال إلى ذكر قصص أشبه بالخيال، ولو سمعها العامة لاستغربوها وربما أنكروها ، ونحن مطالبون بألا نحدث الناس بما لا تبلغه عقولهم وإلا كان لبعضهم فتنة كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

٥- بعض الدعاة قد يغفل عن أسلوب الوعظ ويهتم بالقضايا التربوية والتوجيهات العامة، ولا شك أن هذا خلل في المنهج الدعوي، فقدوتنا هو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالوعظ وجاء بالعلم وجاء بالتوجيهات العامة.

٦- نحتاج إلى ذلك العالِم الشمولي الذي يعظ ويعلم ويربي ويرشد ويفتي، وهكذا كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧- قد نجد بعضًا من الشباب ينتقد «المواعظ» ويزعم أننا بحاجة إلى التأصيل العلمي وإقامة الدروس العلمية، وأن المواعظ طريقة قديمة وفائدتها قليلة.

ولا ريب أن هذا المفهوم يدل على جهل صاحبه، فهذا كتاب الله بين أيدينا فيه المواعظ والقصص والأحكام والآداب، وهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بكل وسائل التعليم والوعظ والتوجيه، وهذا لا يعني أن نهمل الجوانب العلمية وإقامة الدروس والدورات.

٨- هناك من يعيب على بعض الوعاظ ويحتقر عمله؛ بحجة أن هذا الواعظ ليس له دروس في شرح المتون أو القضايا العلمية.

والجواب عن هذا: أن الإسلام يحتاج إلى جميع الجهود؛ فهذا بموعظته، وهذا بحلقات التحفيظ، وهذا بخطابة الجمعة، وهذا بشرح المتون، فالكل يخدم هذا الدين، فلا يجوز احتقار جهود الآخرين، بل يجب الإشادة بها وذكرهم بالجميل والدعاء لهم بظهر الغيب.

على الصراط تجري بهم أعمالهم

هناك على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم يبدأ مرور الخلائق.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال النووي: أي المرور على الصراط.

هناك حين يأتي دورك لتعبر، يا ترى ما هو حالك؟ وما موقفك؟ أخبرني عن مشاعرك؟ وفي أي شيء ستفكر؟

ووضعت قدمك الأولى، وشعرت بدقة الصراط، والمكان مظلم إلا على أهل الإيمان ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

هناك تأتي حسناتك لتقف معك وتدفعك نحو الجنان، نعم تأتي صلواتك وكلماتك، هناك ينفعك طلب العلم وصبرك عليه، ويدفعك حسن خلقك وطيب نفسك إلى دار السلام.

إنها الأعمال الصالحة التي قمت بها في حياتك، حفظها الله لك، ومن أسماء الله «الحفيظ» فجاءت تلك الحسنات لكي تكون خير معين لك في شدة الصراط.

وفي الحديث: «فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قال الرواي: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ! ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ! حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا» رواه مسلم.

فتأمل قوله: «تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ» لتعلم أن الأعمال الصالحة باختلاف أنواعها ، هي القوة التي تدفعك للمرور على الصراط بعد توفيق الله تعالى.

❋❋❋

فراغ من نوع آخر

هناك من يتكلم عن أهمية استغلال الوقت وعمارته بالأعمال الصالحة.

وهذا التذكير من الواجبات على عموم الدعاة، ويتكلم هؤلاء في الغالب عن أهمية الوقت وخطر إضاعته، والجرائم والمصائب التي تترتب على ذلك، وهذا أيضًا من مهمات الأمور.

ولكن في نظري هناك فراغٌ آخر هو السبب الرئيس في الفراغ الوقتي، ألا وهو «فراغ القلب من محبة الله».

نعم، إن القلب الذي امتلأ بحب الله والشوق إليه لابد أن تجد صاحبة قد ملأ وقته بالحسنات والصالحات وتراه مسابقًا إلى كل خير.

فما أعجب شأن القلب كيف تكون حياته حياة للأمم! ومن جرّب عرف.

إنها حياة القلب بالإيمان وامتلاؤه بحب الرحمن، ونتيجة ذلك «همة تناطح السحاب، وعزيمة وثبات حتى الممات».

إن فراغ الروح من الإيمان هو أكبر سبب لفراغ الوقت وإضاعته في الذنوب والعصيان، فما أسوأ حياة الفارغين! هموم وحسرات وآلام وأحزان.

نعـم «هو فراغ ولكـن من نوع آخر» هو فراغ الـروح، والنتيجة استيلاء الشيطان وأعوانه على وقتك أيها الإنسان.

❋❋❋

ولكن كن خفيف النوم

في طريق التعبد تأتي لحظات من الفتور، ولا بد أن تمر سحابة الضعف، وهذا لا غرابة فيه، فالقلوب تتقلب، والفتن خطّافة، والمعين قليل.

ومع يقيننا بذلك إلا أنه لا بد من الانتباه من طول الغفلة وشدة الفترة، فقد تأخذ بك نحو الهاوية، فكن خفيف النوم.

وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَمَنْ كَانَ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى» رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

وأعتقد أن لحظات الفتور فيها من الأسرار والحكم ما تكون خيرًا لصاحبها إن عرف كيف يستفيد منها، لعله ينطلق إلى مولاه عبر بوابة «الانكسار» ليقف هناك على عتبات العبودية التي لا يَصلُح إلا بها ولها.

❋❋❋

طمأنينة القلب

إن حصول طمأنينة القلب وانشراح الصدر هدفٌ يسعى له كثير من الرجال والنساء، وفي سبيل تحقيقه تُصرف الأموال، ويرحل المسافرون إلى البلاد شرقًا وغربًا بحثًا عن أي وسيلة لسعادة القلب وطمأنينة الروح.

ونحن حينما نشارك الكون كله في البحث عن السعادة يجب أن نرشدهم إلى الوسيلة العظيمة والمختصرة، وهي أنه كلما تقرّب المرء إلى ربه وجد الأنس والسرور والسعادة والطمأنينة.

ومصداق ذلك في كتاب ربنا، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فإذا كان مجرد ذكر الله تعالى سبب كبير للطمأنينة فما بالك بمن جمع مع الذكر عباداتٍ أخرى جليلة.

والـذي ينظر في نفسـه بكل تجـرد يجد أنه كلما تقـرّب إلى الله بفعـل الفرائض أو النوافل وجد السـعادة في قلبه على قدر عمله، وأنـه حينما يرتكب أمرًا محرمًا أو يُقصّر في واجب يشـعر بألم في قلبه وهمًّا ملازمًا وقسوةً حاضرة.

فهـذا رجل كتب الله له أن يقوم من الليل عدة ركعات، فشـعر بحلاوة في قلبه لا تسـاويها حـلاوة، حتى قال أحدهم: لولا الليل لمـا أحببـت البقاء في الدنيـا! وبعد صـلاة الليل إذا بـه يتجه إلى المسـجد ليؤدي صلاة الفجر، فزادت سـعادته، ثـم بدأ بالأذكار الصباحية، ثم رجع إلى بيته وهو في فرح كبير وسعادة غامرة.

يا تـرى لماذا؟ هل حصل على زيـادة في ماله؟ هل مارس لذة من لذائذ الشهوات؟

لا، إنـه كان في مناجـاة مع ربـه الرحيم الـودود، فوهبه الرحمن بعض الهدايا القلبية التي جعلته يتذوق طعمًا للإيمان.

وعلـى العكـس مـن ذلك تجـد ذلـك الـذي كانـت ليلته مع الشـهوات سـهرًا واسـتمتاعًا، ثـم ينام عـن الصـلاة، يصبح وقد

أحاطت به الهموم على قلبه، والتنغيص على روحه، ويشعر بألم قد لا يدري ما سببه.

نعم، إنها الذنوب والشهوات تجلب لك القسوة في قلبك والحزن والهمّ والغمّ، وصدق الله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

ولقد تحدث الكثير ممن عاشوا في جحيم الشهوات والإعراض عن الله عن حياة كانت مليئة بالحزن والألم والقلق.

وفي نظرة أخرى نجد في بلاد الكفر من حالات الانتحار الشيء الغريب، رغم ما يوجد لديهم من عناصر اللذة والشهوة.

نعم، هي لذة الجسد، ولكنها عذاب للروح.

فيا من يريد السعادة والطمأنينة وانشراح الصدر، بينك وبينها خطوات يسيرة، أقبل على ربك ليمنحك سعادة القرب منه ولذة الاتصال به.

❋❋❋

١٠ عوامل تعينك على ترك المعاصي

الوقوع في الذنب أمر فطري لابد منه، وقد أخطأ أبونا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكنه تاب، ومن شابه أباه فما ظلم.

ونبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» رواه مسلم.

والذنوب تختلف من شخص لآخر ومن حال إلى حال.

فذنبُ العالِم ليس كالجاهل، والخطأ في حق الجار ليس كالخطأ في حق غيره، والمعصية في مكة ليست كالمعصية في غيرها، وسوء الخلق مع الوالدين لايماثله مع غيرهما، وهكذا تختلف درجات الذنوب.

وحديثي هنا عن عوامل تقيك بإذن الله تعالى من الإصرار على الذنب:

١. **أن تعلم أن الله يراك** ويطلع على خفاياك ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] فمهما اختفيت عن أهلك فلن تختفي عن الله الذي يعلم بحالك سبحانه.

٢. **أن تتأمل في عواقب الذنوب في الدنيا**، وآثارها على نفسك وأهلك ورزقك، فهي تقسي القلب وتجلب الهم وتمنع الرزق أو تزيل بركته.

٣. **أن تفكر في عواقب الذنوب** عند الموت وما بعده من عذاب القبر، فربما كانت ذنوبك سببًا لسوء الخاتمة أو لتعذيبك في قبرك.

٤. **الابتعاد عن الصحبة السيئة** التي تُذكّرك بالمعصية وتُشجّعك عليها.

٥. **ادع ربك** أن يحميك من الذنوب ويساعدك في التخلص من آثارها.

٦. **املأ فراغك** بما ينفعك من أمور الدين والدنيا، لأن الفراغ بوابة الانحراف والذنوب.

٧. **تأمل في قصص التائبين** الذين تركوا تلك الذنوب، وكيف هي سعادتهم الآن.

٨. **سماع المواعظ الإيمانية** التي ترقق القلب وتقوي جانب الخوف من الله تعالى.

٩. **تذكر نعيم الجنة** وأنه للمتقين الذين تركوا المحرمات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

١٠. **اعلم أن الله خلق النار** وجعلها للمعرضين، وما يدريك فلعلك تكون من أهلها بسبب إصرارك على تلك الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

اللهم احفظنا من الذنوب، واجعلنا من المتقين الذين يخافونك يارب العالمين.

❋❋❋

من أسباب الثبات على الدين

١- **طلب العلم**، لأن العلم يزيدك معرفةً بالله وما يستحق من التعظيم، والعلم يبصرك بمراتب الأعمال وما هو الفاضل والأفضل، والعلم يحذرك من مداخل الشيطان التي يتسلل من خلالها لإضعاف دينك، وفوائد العلم لا يمكن حصرها.

٢- **تدبر القرآن**، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

والتدبر هو: أن تعرف معنى الآية بشكل مختصر، ثم تربطها بواقعك، وكيف يمكنك تطبيقها.

وهناك قواعد وفنون للتدبر يمكنك معرفتها من خلال بعض الكتب أو المواقع.

٣- **الجلوس مع العلماء**، فإن لم يمكن فالجلوس مع طلاب العلم للاستفادة من علمهم وأخلاقهم واستشارتهم؛ لأن أهل العلم لديهم من العلوم النافعة ما يزيدك علمًا وثباتًا.

٤- **ملازمة الصالحين** الذيـن تنتفع برؤيتهم قبل كلامهم؛ لأن المرء ضعيفٌ بنفسه قويٌّ بإخوانه، والواحد منا يتأثر بمن يخالط، والصاحب ساحب، و«**المرء عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ**».

٥- **البعد عن الشـهوات**، كالنظر المحرم ونحوه، وفي تصوري فإن من أعظم أسباب الانتكاسة «التساهل في النظر للنساء في مواقع التواصل» فكم من شـهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا، وأعرفُ من تسـاهل فبدأ الضعف فيه، ثم وقع في شباك الشهوات حتى صعُب عليه الخروج منها.

٦- **الصبـر ومجاهـدة النفـس**، وليتذكـر المـرء أن صبره على الطاعـات وصبره عن المعاصي مـن أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] والجنة حُفّت بالمكاره، فتحتاج للمزيد من الصبر.

٧- **الدعـاء والإلحاح علـى الله**، وإني لأتعجب مـن كثرة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» وهو المؤيد بالوحي، وسيد المرسلين، فكيف بنا نحن الضعفاء!

٨- **الابتعاد عن الشبهات** التي تضعف قناعتك بهذا الدين، أو تطعن في الثوابت الشرعية؛ لأن بث الشبهات من أسلحة الأعداء، ومَن تساهل في سماعها أو قراءة ما يُكتب فيها أو شاهد ما يتعلق بها فقد عرّض نفسه للفتن، والقلب ضعيف، وربما التصقت به تلك الشبهات.

٩- **المداومة على الأعمال الصالحة**؛ لأن المداومة عليها توصلك لمرتبة محبة الله لك، وفي الحديث القدسي: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» رواه البخاري، ومن فاز بمحبة الله فسوف ينال الحفظ الرباني والتثبيت والتوفيق.

١٠- **تأمل سير الأنبياء والرسل**، قال الله لنبيه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وكم في قصصهم من الدروس! فتأمل ثباتهم وصبرهم وعظيم تعلقهم بالله، وحبذا أن تتأمل ذلك مع أسرتك وأحبابك لتقوي إيمانهم.

١١- **اعمل بما تقرأ وتسمع من المواعظ**، قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

فانظر كيف جعل الله العمل بالمواعظ سببًا للثبات، وللأسف فإننا نسمع الوعظ ولكن البعض منا لا يعمل، لذا يقع في الفتور ثم الانتكاسة التدريجية.

١٢- تذكر الموت وما بعده من أحوال القبور وما فيها من النعيم والعذاب، ومن تذكر تلك الأحوال فليحاسب نفسه، ماذا قدّم لها؟

وليستعد بالعمل الصالح الذي سينفعه في قبره، وأما الغافل فلا يشعر بنفسه إلا وهو بين الأموات، وكم حسراتٍ في بطون المقابر.

١٣- النظر في ثمرات الثبات على الدين، من السعادة والتوفيق في حياتك، ثم الخاتمة الحسنة، ثم في القبر تجد النعيم وترى مقعدك من الجنة، وفي الآخرة لك المنازل الكبرى في الجنان، هذا كله بسبب ثباتك على الدين، قال الله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

١٤- الاستثمار الجيد للفراغ؛ لأن الفراغ بوابة السعادة والنجاح والصلاح، وقد يكون بوابة الانحراف، فبين وقت وآخر

أعد ترتيب وقتك ومحاسبة النفس على كيفية قضاء وقتك، وهل يُقضى فيما ينفعك أو فيما يضرك.

١٥- الاشتغال بالدعوة إلى الله في المجال الذي تتميز فيه، قال الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] ومن سعى لتعليم الناس وتثبيتهم جازاه الله من جنس عمله فزاده علمًا وثباتًا.

❋❋❋

هم درجات عند الله

نعيش في هذه الحياة ونتقلب بين زخارفها وشهواتها وتلعب بنا الدنيا، وقد تغيب عنا بعض منازل الآخرة.

إن هناك منازل ودرجات عالية عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

نعم، إن الصالحين لهم درجات عند الله يختلفون فيها، فمنهم من هو في أعلاها، ومنهم دون ذلك.

ويبين هذا التفاوت ما جاء في الحديث: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ» رواه البخاري.

فانظر للتفاوت الكبير، درجات كما بينك وبين ذلك الكوكب الذي تراه في أعلى السماء.

إنها ليست منازل الأنبياء، لأنهم في أعلى عليين، ولكن تلك المنازل العالية لمن حقق الإيمان بكل صدق.

ياترى كيف كانت همة أولئك القوم؟

كيف كانت قلوبهم؟

كيف كانت أعمالهم؟

ياترى ماذا فعلوا حتى بلغوا منازل عالية تشابه بُعد ذلك الكوكب؟

لعل الواحد من أولئك كان صديقًا لك، أو لعله من جماعة مسجدك، أو لعله ابن عمك.

ما أعجب الهمم! كيف رفعتهم في تلك المنازل!

إي والله، لما ارتفعوا في الدنيا بهمتهم في العمل الصالح كان الجزاء من جنس العمل، فرفعهم الله في درجات الجنان، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢].

إنها لمن علا بهِمّته عن الشهوات والذنوب، إنها لمن علا بطموحاته لجنة عرضها السماوات والأرض.

فيـا طالب الجنـان: ارتفع قليلًا بهمتـك، واعمر وقتك بصالح الأعمـال، ونافـس في جنـةٍ عرضهـا السـماوات والأرض، وإنها لسـاعات نقضيها في هـذه الحياة ثم نرحل، وهنـاك نجد ما قدمنا ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

❊❊❊

لماذا اختفى أويس؟

هنـاك في المدينة النبوية حيث كان يسـكن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبقية الصحابـة، وفي وقـت الحـج كان عمر يسـأل الوفـود القادمة من اليمن: هل فيكم أويس القرني؟

وفي إحدى الأعوام كان الجواب: نعم، معنا أويس القرني.

فحصل هذا اللقاء الذي رواه مسلم في صحيحه:

كَانَ عُمَـرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَـأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟

حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

تأمل معي، أويس تابعي وليس صحابيًّا، وهو سيد التابعين كما في الحديث الآخر عند مسلم: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ».

كان أويس به برص فدعا الله فأذهبه، إلا موضع درهم، حتى يتذكر نعمة الله عليه.

وكان بارًّا بوالدته، وقيل إن هذا هو السبب الذي منعه من السفر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كان أويس له مكانة عالية عند الله، بحيث إنه لو أقسمَ على الله لأبره، والقسمُ على الله ليس كالحلفِ بالله، والذي ينال منقبة أن يقسم على الله فيحقق الله طلبه ليس بالشيء السهل.

وهنا نلحظ أن الذي زكّى أويس ليس صحابيًّا أو عالِمًا.

إن الـذي زكّاه هو النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه التزكيـة وحيٌ من الله، ممـا يعني أن أويس جاء اسـمه بوحي من الله إلى جبريل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إنها لمكانةٌ رفيعة، إنه لشـيءٌ يفـوق الوصف، أن ينزلَ الوحي بالثناء على شـخص من عامة النـاس، فأويس ليس بصحابي، بل من التابعين.

إن أويسًـا رجل ملأت التقوى حياته، ولعل بينه وبين الله أشـياء جعلته يفوز بهذه التزكية النبوية.

ومما نلحظُ في قصة أويس استشعار عمر لعلو منزلة أويس.

فحيـن التقى مع عمـر طلبَ منهُ عمر أن يسـتغفر لـه، ولك أن تتخيل هذا المشهد.

فعمر ثاني الخلفاء الراشـدين، ومن المبشـرين بالجنة، ومناقبه أشهر من التذكيرِ بها.

فكيف يطلب عمر من أويس أن يستغفر له!

ألا ترى في هذا الموقف شيئًا غريبًا وملمحًا خفيًّا!

إن أويسًا لم يُعرف بشيء بين الناس إلا بِرّهُ بأمه، كما في الحديث.

إنه لم يشتهر بعلم أو بدعوة أو بجهاد، إنه خفيٌّ تقيٌّ بعيدٌ عن كل مظاهر الشهرة.

والغريبُ في قصته أن عمر سأله: أين تريد بعد الحج؟

فقال أويس: الكوفة.

فقال عمر: ألا أكتب لك إلى عاملها؟

يعني: هل أكتب لك توصية ليستقبلك أمير الكوفة؟

فقال أويس: أكون في غبراء الناس أحب إلي.

والمعنى كما قال النووي: أكون مع ضِعافهم الذين لا يؤبه لهم، وهذا من إيثار الخمول وكتم حاله.

إن أويسًا قادرٌ أن يُرحبَ باقتراحِ عمر، فيحظى باستقبال والي الكوفة، ويلتفَّ حولَهُ الناس ويتحدثون عنه وعن تزكية الرسول له، ولكن أويسًا اختار الابتعاد عن كل مظاهر الشهرة والازدحام حوله، وهذا الاختيار دليلٌ على قوةِ صدقهِ وخوفهِ على نفسه من الاغترار بثناء الناس وإحاطتهم به.

ومن جهة أخرى يزدادُ عجبي من ردةِ الفعل الأخرى، وهي أن أويسًا اختفى في اليوم الثاني، فلم يعثر عليه أحد لا عمر ولاغيره من الصحابة ولا التابعين.

ياترى لماذا لم يفرح أويس بالقرب من الصحابة والصالحين والجلوس معهم؟

أليس القرب منهم مليئًا بالخير والنفع والفائدة؟

فهناك الصحابة والأخيار من التابعين؟

إني أظن أن أويسًا اختار الاختفاء لأن بوادر الشهرة ملأت حياة المجتمع حينها، ويكفيه أن عمر طلب منه أن يستغفر له، فما ظنك بغيره لو رأى أويس ماذا سيقول له!

لعل أويسًا خاف أن يغترّ بنفسه، أو تدخل إحدى شهوات النفس الخفية عليه فتضيعُ عليه منقبة «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**».

إن المقصد من سيرة أويس ليس هو تفعيل جانب الاختفاء الكُلّي عن اجتماعات الناس، وليس المعنى ترك الدعوة وتعليم الناس، بل هذه من الواجبات على الدعاة وطلاب العلم.

ولكن الذي أستفيده من قصة أويس في حياتي ألا أبحث عن الشهرةِ ولا أفرح بها، ولا أتقصدُ المواطن التي تجعل الناس يعجبونَ بي ويثنون علي.

علّمني أويس ألا أتزين أمام الصديق والقرين والمعجب لألفتَ نظره إلي.

علّمني أويس أن البعد عن أنفاس الناس يُبقي لك مقعدًا في منازل الأخفياء والأتقياء.

لقد علّمني أويس أن القرب من الله يغني عن كل شيء.

نعم، علّمني أويس أن الخفاء قد يكون أفضل من الظهور، لأن الظهور يقصم الظهور.

لقد استفدتُ من أويس أن أحافظ على نيتي ألاتتغير بسبب ثناء الناس ومدحهم.

ختامًا: حاول أن تختفي أحيانًا لتتصل بربك وتحققَ الفرار إليه.

اقتــرب من الله أكثر من اقترابك من الناس، حتى لو كنتَ تقصد نفعهم، لأن القربَ من الله يمنحك العون والتوفيق في كل برامجك معهم.

اتصل بربك لعله يمنحك وسام «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**».

❊❊❊

السعادة في صلاة الفجر

في هدوء الليل وسكون الناس، وأنت بين أطباق النوم، إذا بصوت الأذان يخرق الآذان ليعلن عن «صلاة الفجر» فإذا بك تستيقظ وتتوضأ وتلبس أجمل ملابسك، وتمشي بأقدامك إلى بيت الله تجيب داعي الله.

وما إن تنتهي «صلاة الفجر» إلا والسعادة تملأ قلبك، والسرور يعلو على صفحات وجهك؛ لأنك وقفت بين يدي الله «مصليًا وراكعًا وساجدًا».

وهكذا تجد أن السعادة في «المحافظة على الصلاة» وصدق الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

أما ذلك النائم عن الصلاة فإنه يصبح خيبث النفس، كسلان، مهمومًا مغمومًا، لأنه لم يتمتع بلذة الصلاة، ولم يذق حلاوة المناجاة، وهكذا تصنع الذنوب في قلوب أهلها، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

فيا من أزعجته الهموم: إن علاجك في «صلاة الفجر».

السعادة الحقيقية

ليس السعيدُ الذي دنياهُ تسعدهُ

إن السعيدَ الذي ينجو من النار

نعم، السعادة مطلب كل عاقل، ولكن كثيرين أخطأوا طريقها؛ فمنهم من طلبها بالمال فلم يجدها، ومنهم من طلبها بالفواحش فما زاده ذلك إلا همًّا، وآخرون بحثوا عنها في السفر إلى بلاد الغرب فما وجدوا إلا العذاب في قلوبهم والحسرة والألم.

فيا ترى من الذي وجدها؟

لقد وجدها المصلي في سجوده حتى قال إمام المرسلين: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا» رواه أبو داود بسند صحيح

لقد وجد السعادة قارئ القرآن، لقد وجدها الصائم في صيامه، لقد وجدها المؤمن في طاعته لربه.

هذا هو طريق السعادة، هذا هو طريق الحياة الطيبة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

لتعلم - يا عبد الله - أنك كلما اقتربت من الله بفعل الطاعات شعرت بحلاوة في قلبك وسعادة لا تعادلها شهوات الدنيا ولذائذها.

وأنك كلما أعرضت عن الله أصابك من الهمّ والغمّ والألم في قلبك.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

والمؤمن في هذه الحياة في نعيم، فهو مطمئن البال منشرح الصدر، يشعر بحلاوة في قلبه، ألا وهي حلاوة الإيمان ولذته.

والمؤمن له نعيم آخر في قبره، يأتيه من نعيم الجنة وهو في القبر، أما النعيم الأكبر فهو دخول الجنة والنجاة من النار، فتلك هي السعادة الأبدية التي لا تزول ولا تتغير.

❋❋❋

الجنازة التي تشتاق للقبر

نعم، إنه شوقٌ غريب، وفرحٌ لا يوصف.

تعودنا أن يكون الشوق بين المخلوقات؛ بين الابن وأبيه، والزوج وزوجته، حتى بين الحيوانات تجد شوق الصغار لأمهم، وانظر إلى الطيور ترى شوقًا عامرًا بينهم، ولكن العجب يملأ الفؤاد حينما يكون الشوق من جنازة إلى قبر.

وتأمل معي هذا الحديث: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي! وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري.

إنه لحديث جديرٌ بالتأمل والتفكير والتدبر «قدِّموني» إنها جنازة تتكلم، تعبِّر، تنطق، تنادي، يا رجال «قدِّموني، ضعوني، أنزلوني، اتركوني، ابتعدوا عني، لا أريدكم، يكفيني ذلك القبر».

إِنها جنازة صالحة لرجل أو امرأة كانا في عبادة وطاعة وخشوع وخضوع.

والنهاية شوق القبر لأولئك الصالحين والصالحات، إِنه جزاء الإحسان، وصدق الله: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

إِن الجنازة الصالحة تُحِبُّ القبر لأنها تعلم أنه روضة من رياض الجنة.

ومضة:

كن مع الله فوق الأرض يكن معك تحت الأرض.

❊❊❊

جلسة استغفار

أنت بحاجةٍ إلى جلسةِ استغفار وذكر ومحاسبة وبكاء.

أنـت بحاجـة إليها مهمـا كنت، مهمـا كان علمـك، مهما كان عملك، مهما بلغـت في المنزلة الدينية، مهما ارتقيت في المراتب الدنيوية.

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» رواه البخاري.

إنها جلسةٍ تعالج الروح، وتزكي النفس، وترتقي بك إلى عالم الآخرة فكأنك تشاهدها.

إنها وقفةٍ إيمانية وزادٌ قلبي وخلوةٌ مع الرب، فهنيئًا للذاكرين.

لن تعرف الطمأنينة والسـعادة والسرور إذا لم تجلس في وادي «الذاكرين» و«بستان المسبحين».

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

فهنيئًا للذاكرين، وبشرى للمستغفرين، ويا سعادة المتقين.

أصناف الناس مع الأيام

مع مرور الأيام هناك صنفان من الناس:

الصنف الأول:

من يزيد إيمانه وتزيد حسناته في كل لحظة، وهذا هو الموفق الذي اختاره الله تعالى لمحبته وجنته، وهذا النوع من الناس لا تراهم إلا وهم يتقلبون بين أنواع من الحسنات والطاعات.

فمرة تراهم في علم، ومرة تراهم في عبادة، وفي وقت آخر تراهم وهم يناجون ربهم في ظلمات الليل تسيل دموعهم على خدودهم، وفي آن آخر تراهم في الإحسان للمساكين والفقراء والمحتاجين.

وهذا الحال هو حال الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى هذا المنهج سار الصحابة الكرام، رضوان الله تعالى عليهم، ولحق بهم سلف الأمة وخيارهم وصفوتهم، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

الصنف الثاني:

فهم على الضد من ذلك، يتقلبون في المعاصي والسيئات كل يوم، بل كل لحظة يزدادون سيئات وآثامًا.

فمرة يسهرون على المحرمات، ومرة بل مرات ينامون عن الصلوات، ومنهم من يعيش في الغفلات والشهوات.

وهذا هو حال الغافلين الساهين، وهو دليل ضعف الإيمان، والله المستعان.

فيا أيها الأحبة: لنقف مع أنفسنا وقفة صادقة ونسألها يا ترى هل نحن من الذين تزداد حسناتهم مع مرور أيامهم، أم نحن من الذين تزداد سيئاتهم مع مرور ساعاتهم ولحظاتهم؟

إن المصارحة مع النفس في هذه الحياة خير من الندم في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠].

❋❋❋

زاد الإيمان

كان الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جالسًا بعد صلاة الفجر في المسجد يذكر الله، وبقي على تلك الحال حتى الضحى، فجاءه تلميذه ابن القيم فسأله عن هذا الجلوس، فقال له ابن تيمية: هذه غدوتي، لو لم أتغدها سقطت قواي.

من هذه القصة يتبين لنا فقه هذا الإمام الكبير؛ لأن قوة المؤمن في قلبه، وقوة هذا القلب على قدر محافظته على ذكر الله وطاعته.

إن القلب له غذاء يجب أن يتغذى به حتى يبقى قويًّا، وغذاء القلب هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، وعلى قدر ما يحقق العبد من هذا الإيمان على قدر ما يكون في قلبه من القوة والثبات على الحق.

لقد ثبت في الحديث الصحيح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» رواه البخاري.

إن الحياة الحقيقية هي في حياة القلب، وحياة القلب لا تتم إلا بالعمل بما يرضي الله تعالى.

إن القلب متى ما اتصل بالله وأناب إلى الله حصل له من الغذاء والنعيم ما لا يخطر بالبال، ومتى غفل العبد عن ربه وأعرض عن طاعته فإنه سيموت قلبه، ولهذا قال في الحديث: «**مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**» فبين أن الغافل كالميت.

إن الناس يتفاوتون تفاوتًا كبيرًا في قوة أبدانهم وصحة أجسامهم، وتفاوتهم في قوة القلب وضعفه أعظم وأعظم.

إن القلب لا يطمئن ولا يلتذ ولا يأنس إلا بأن يمتلئ بحب فاطره وخالقه، وأن يصبح ويمسي وكل همه رضا الله.

فمن أراد السعادة في الدنيا، والنعيم في القبر، والرضوان الأكبر في الآخرة، فليغذِّ قلبه بالإيمان والعمل الصالح، ومتى ما صلح القلب صلحت الجوارح.

❋❋❋

حينما تزول النعم

قد يعيشُ بعضنا في سعة من الرزق فتتغير، وقد يعيشُ وهو يتذوق حلاوة الإيمان ولكنها بدأت تتلاشى، وقد يشعرُ بمحبة الناس له قد خفّ بريقها، وقد يكونُ في استقرارٍ أسري ولكنه الآن يعاني من مشكلاتٍ لا يعرفُ سببها، وهكذا تتغير تلك النعم وغيرها، فيتساءل عن السبب!

فيكون الجواب وبكل وضوح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إن المشكلةَ من عندك، إن السببَ هو أنت، فراجع نفسك في طاعةٍ قصّرت فيها، أو معصيةٍ بدأت تدمنها، أو حقدًا وحسدًا بدأ يعملُ في قلبك.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وقديمًا قال السلف: من أحبّ تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال.

وقال بعضهم: إذا أردت أن يكونَ اللهُ لـك كما تحب فكن له كما يحب.

فيا من يحب دوام العطاء الرباني والتوفيق الإلهي، حاسب نفسك جيدًا، واعترف بينك وبين نفسك، وانظر في مواطن الخلل، وجدد توبتك، وأبشر بخير فإن الله قريب منك.

وإذا أصلحت ما بينك وبينه فسوف تعودُ لك العطايا من الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❋❋❋

من أسباب الانتكاسة

١ - **الحديث عن هذا الموضوع** مهم في هذا الوقت؛ لما نلحظه من حالات الانتكاسة والتراجع عن الاستقامة، وإن كانت القصص قليلة إن شاء الله، ولكن التحذير من أسبابها مطلب مهم.

٢ - **يجب أن نعلم** أن القلب هو الركن المهم في الثبات والاستقامة، وأن هذا القلب قد يتقلب من الهداية إلى الانحراف؛ لذا وجب علينا أن نلح على الله بأن يثبت قلوبنا على دينه كما كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل ربه ذلك.

٣ - **اتباع الشهوات والتساهل في مقدماتها** من أعظم أسباب ضعف الإيمان، وخاصةً في هذا الزمن الذي تنوعت فيه وسائل الإثارة للشهوات، وتبدأ تلك الشهوات بخطوات يسيرة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

٤ - **يعتبر غض البصر** من أعظم سبل الوقاية من فتنة النساء. يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] وفي الحديث: سأل رجل الرسول عن نظر الفجأة فقال الرسول: «اصْرِفْ بَصَرَكَ». رواه مسلم

ومن تعود على غض البصر حفظ قلبه من جحيم الشهوات.

وكل من تساهل في النظر المحرم فليتذكر أنها لذة ساعة، ولكن بعدها شقاء وهمّ وضيق في الصدر ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وكم من نظرة فتحت لصاحبها أبواب الحسرات!

فجاهد نفسك الآن، وللصبر حلاوة تبين في العواقب.

٥- **الحذر من فتنة النساء،** سواء في مجال العمل، أو في السوق، أو في السفر، أو في العلاقات الأخرى المحرمة.

وفي الحديث الصحيح: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**» وكم من ساعة غفلة قادت بعض الرجال لمتاهات مع النساء.

٦- **كلنا يحب المال،** ولكن حينما نغفل عن التحري في طلب المال الحلال قد نقع في فتنة المال فنجمعه من أي طريق ولو كان حرامًا.

وفي الحديث الصحيح «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**».

٧- قد يقع بعضنا في حب الشهرة ويسعى لها بكل ما يمكنه، فيفتن في دينه ثم يتراجع عن ثوابته وقيمه. ولذا حذر السلف من الشهرة في نصوص ومواقف كثيرة عنهم.

٨- احذر من التساهل في صغائر الذنوب، وفي وصية الرسول لعائشة: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا». رواه ابن ماجه وصححه الألباني .

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرنّ صغيرة إن الجبال من الحصى.

٩- البعض يترك الذنوب لفترة ثم يعود للأصدقاء الذين كان يمارس معهم تلك الآثام، وهو لم يثبت بعد بشكل كافٍ، وربما أقنعه الشيطان بزيارتهم لدعوتهم، ولكنهم قد يسخرون به، أو يذكرونه ببعض القصص التي ربما أضعفت دينه، وبالتالي قد يتراجع عن الاستقامة.

❋❋❋

رسائل من الليل

تختفي الشمس عند الغروب ويأتي لباس الليل لكي تلتحف به الأرض.

وفي هذا الليل تتفاوت الأعمال، فقوم سرت بهم شهواتهم نحو الأفلام والقنوات ومعاكسة الفتيات، بل وممارسة الفواحش والمنكرات، فيا حسرتاه على هذا الليل!

ولكن هناك قوم طارت بهم الأشواق لكي يكون ليلهم محطة للتزود إلى الجنان، فكان ليلهم خشوعًا وخضوعًا وبكاء ودموعًا.

قوم صفوا أقدامهم لربهم يناجونه ويستغفرونه ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

إنه الارتقاء عن عالم النوم والفراش والراحة إلى جنة المناجاة ولذة العبادة وسعادة الاتصال مع الكبير المتعال.

إن في الليل أسرارًا وإشارات لا يذوقها إلا من «دخل في سوق الليل» ونزل في وادي الأسحار، وأرسل الرسائل إلى الملك القهار، ينتظر الإجابة وهو واضع جبهته على الأرض.

إن في الليل دموعًا تُراق على الخدود، وأدعية تتجاوز كل الحدود لتصل إلى الرب المعبود.

فهنيئًا لمن سار في قافلة أهل الليل ونافسهم ليصل إلى الموعد الجميل ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

❋❋❋

إذا أردت المزيد من كتب المؤلف يمكنك التواصل
مع المؤلف من خلال الواتس أب ٠٠٩٦٦٥٠٥٢٣٥٠٠٨

التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
TharwatSultan@yahoo.com
للتواصل:
00201019530152

الفهرس

- المقدمة ٢
- الفرح بالله ٣
- إنه نور الإيمان ٧
- ثلاثة أوقات يستجاب فيها الدعاء كل ليلة ١٠
- احذر من صغائر الذنوب وسوء الخاتمة ١٢
- لماذا نصوم النافلة؟ ١٣
- عبادات في أوقات الشدة ١٥
- أنا وأنت أصحاب ذنوب ١٨
- وفي الخفاء سرور ٢٢
- وهل القلب يسجد؟ ٢٣
- عتابٌ لبعض محبي العبادة ٢٥
- خلوة ولكن مع الصور ٢٩
- الملتقى في بيت الحمد ٣٣
- ثلاثة في الجنة ٣٦
- كيف تربي نفسك على حفظ الخواطر ٣٩
- الإنسان يرى عمله في موضعين ٤١
- يا رب ٤٣
- كلمات في الترغيب والترهيب ٤٤
- على الصراط تجري بهم أعمالهم ٤٨
- فراغ من نوع آخر ٥٠

- ولكن كن خفيف النوم ٥٢
- طمأنينة القلب ٥٣
- ١٠ عوامل تعينك على ترك المعاصي ٥٦
- من أسباب الثبات على الدين ٥٩
- هم درجات عند الله ٦٤
- لماذا اختفى أويس؟ ٦٧
- السعادة في صلاة الفجر ٧٤
- السعادة الحقيقية ٧٥
- الجنازة التي تشتاق للقبر ٧٧
- جلسة استغفار ٧٩
- أصناف الناس مع الأيام ٨٠
- زاد الإيمان ٨٢
- حينما تزول النعم ٨٤
- من أسباب الانتكاسة ٨٦
- رسائل من الليل ٨٩
- الفهرس ٩١

❋❋❋